

أضواء البيان

@ 373 @ .

وإن منهم قادة هم رؤساؤهم المتبوعون وهم المذكورون في قوله تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّسَّةِ يَبْغِي رِ عِلْمًا وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابًا مُّذِيرًا ثَانِيًا عَطْفًا فِيهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّسَّةِ } . . .

وبين تعالى في موضع آخر أن من أنواع جدال الكفار ، جدالهم للمؤمنين الذين استجابوا □ وآمنوا به وبرسوله ، ليردوهم إلى الكفر بعد الإيمان ، وبين بطلان حجة هؤلاء ، وتوعدهم بغضبه عليهم ، وعذابه الشديد وذلك في قوله تعالى : { وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّسَّةِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَىٰ يَهُمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ } . قوله تعالى : { فَلَا يَغْرُرْ رَبُّكَ بِتَقَلُّبِ يَهُمْ فِي الْبِلَادِ } . . .

نهى □ جل وعلا نبيه صلى □ عليه وسلم في هذه الآية الكريمة ، ليشرع لأمته عن أن يغره تقلب الذين كفروا في بلاد □ ، بالتجارات والأرباح ، والعافية وسعة الرزق ، كما كانت قريش تفيض عليها الأموال من أرباح التجارات ، وغيرها من رحلة الشتاء والصيف المذكورة في قوله تعالى : { إِيَّاكَ يَلْمِزُكَ الْفُلُوفُ إِذْ يَلْفَافُ فِيهَا مِنْ أَرْبَاحِ الْبِلَادِ وَالصَّيْفُ إِذْ يَصِيفُ } أي إلى اليمن والشام وهم مع ذلك كفرة فجرة ، يكذبون نبي □ ويعادونه . . .

والمعنى : لا تغتر بإنعام □ عليهم تقلبهم في بلاده ، في إنعام وعافية فإن □ جل وعلا يستدرجهم بذلك الإنعام ، فيمتعهم به قليلاً ، ثم يهلكهم فيجعل مصيرهم إلى النار . . . وقد أوضح هذا المعنى في آيات من كتابه كقوله تعالى : { لَا يَغْرُرُ رَبُّكَ بِتَقَلُّبِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ } . وقوله تعالى : { وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَّا لِيُنذِرَ مَرِجَعُهُمْ فَنُذِيبُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّسَّةَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ غَلِيظٍ } وقوله تعالى : { قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } وقوله تعالى { قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللَّسَّةِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ثُمَّ يَكْفُرُونَ } إلى غير ذلك من الآيات . . .

والفاء في قوله : فلا يغررك ، سببية أي لا يمكن تقلبهم في بلاد ا . متنعمين